عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

١ «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا،

٢ قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ»[٢٠٥].

(٢٠٥) رواه مسلم (٢٨١٣).

آيات

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٥، ٦]

الراوي

هو: أبو عبد الله، جابرُ بنُ عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ حرام الأنصاريُّ، ثم السَّلِميُّ، شهِد بَيعة العقبة الثانيةً وهو صبيٌّ مع أبيه، وكان والده من النُّقباء البدريين، وكان آخِرَ مَن مات ممن شهِد ليلة العقبة الثانية، وقيل: شهِد بَدرًا وأُحدًا، وشهد صِفِّين مع عليِّ بنِ أبي طالب ﷺ، وهو مُفتي المدينة في زمانه. تُوفِّي سنةَ (٧٨هـ)[١].

خلاصة

يُخبِر النبي ﷺ أن إبليس يَنصِب عرْشَه على الماء ثم يرسِل جنودَه لإغواء النَّاس، وكلَّما كانت فتنةُ الواحد منهم أكبرَ كانت منزلته أعظمَ عند إبليس، وأعظمُهم منزلةً مَن فرَّق بين الرجُل وامرأته.

(١) تُراجع ترجمته في: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (١/ ٢١٩)، «أسد الغابة» لابن الأثير (١/ ٣٠٧)، سير أعلام النبلاء» للذهبيِّ (٣/ ١٩٠).

١ يُخبِر النبي ﷺ أنَّ إبليس يَنصِب عرْشَه على الماء، ثم يرسل جنودَه وأعوانَه لإغواءِ النَّاس وإضلالِهم وصدِّهم عن سبيل الله تعالى، وأقربُهم منه منزلةً أشدُّهم فتنةً وأعظمُهم أثرًا على عباد الله، فإذا انتهَت مَهَمَّةُ كلُّ واحدٍ منهم، جاؤوا إليه فأخبروه بما فعَلوا، فيقول أحدُهم: ما تركتُ ابنَ آدم حتَّى سَقَيته خمرًا، ويقول آخَرُ: ما تركْتُه حتى أوقعتُه في الزنا، ويقول آخرُ: حملتُه على منع زكاة ماله، ويقول آخر: حملته على السرقة... فيُحَقِّر إبليسُ أفعالَهم تلك، ويُخبرُهم أنَّهم لم يَصنعوا شيئًا ذا بالٍ.

٢ ثم يأتي أحدُهم فيقول: ما تركتُ ابنَ آدم حتى فرَّقتُ بينه وبين امرأته، فيُسَرُّ إبليسُ بذلك جدًّا، ويُقرِّبه من مَجلسِه، ويمدحُه بقوله: نِعْم أنتَ؛ أي: نِعْمَ الشيطانُ أنت؛ فأنت الذي جِئتَ بالأمر العظيم، وأنت الذي أغنيتَ عنِّي، وأنت صاحبُ المنزلة عندي.

وإنما حَظِيَ ذلك الشيطانُ عند إبليسَ بتلك المكانةِ لِمَا للتفريقِ بين الزوجينِ من الشرِّ والأذى؛ فبِهِ تحصُل الضَّغينة، وتقعُ العداوة والشَّحناء بين الزوجين وأهليهما، ويتشرَّد الأطفال وتَسُوء أخلاقهم وأفعالهم نتيجةَ التفكُّكِ الأُسَري، كما يكثُر بذلك الوقوعُ في الفاحشة التي هي أعظمُ الكبائر فسادًا وأكثرها مَعَرَّةً[٢٠٦].

(٢٠٦) «البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج» للولويِّ (٤٣/ ٥٠٠).

١ (١) إبليسُ – لعنه الله – أشدُّ أعداءِ ابن آدم، بارزه بالعداوةِ مُذ أمَره اللهُ تعالى بالسجود له، فأبى، وقال: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢]، وتوعَّد بغوايةِ بني آدم جميعًا، فقال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧]. فالحذرَ الحذرَ من كَيدِه وإغوائه وفِتنتِه.

٢ (١) طُرق الشيطان في الإضلال كثيرة؛ فمنها الوَسْوسةُ، والتحريشُ بين النَّاس والإيقاع بينهم، وتَزيينُ المعصيةِ، والغضبُ، والتعصُّبُ، والعجَلةُ، والتكاسلُ ... إلى غيرِ ذلك. فعلى المسلِم أن يكونَ يَقِظًا لحِيَلِه، مُستعيذًا باللهِ تعالى منه، وقد أخبر سبحانه أنَّ الاستعاذةَ منه تَرُدُّ عن المرءِ ما يَجِده مِن وَساوسه ونَزغاته؛ قال سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٠- ٢٠١].

٣ (١) الملجأُ للعبدِ مِن وَساوس الشيطان هو الدخولُ في طاعةِ اللهِ تعالى والاحتماء بحِصنه الحَصين؛ قال قتادةُ السَّدوسيُّ رحمه الله: «أتاك الشيطانُ يا ابنَ آدمَ من كلِّ وجه، غيرَ أنه لم يأتِكَ من فَوقِك؛ لم يَستطِعْ أن يَحُول بينك وبين رحمةِ الله»[٢٠٧].

(٢٠٧) «إغاثة اللهفان» لابن القيم (١/ ١٠٣).

٤ (٢) احذَرْ؛ فمُرادُ إبليسَ وأعوانِه هدمُ البيتِ المسلِم.

٥ (٢) يَنجُم عن التفريقِ بين الزوجينِ شرٌّ كبيرٌ؛ منها: حصولُ الضَّغينة والعداوة بين الأهل، وانتشار الزِّنا الذي هو أعظم الكبائر فَسادًا وأكثرها مَعَرَّةً، فضلًا عمَّا يُصِيب الأبناءَ من الضرر الماديِّ والمعنوي، وما قد يَترتَّب عليه من فسادِ الأخلاق وسُوء التربية؛ ولهذا عَظُمَ سرورُ إبليسَ اللعينِ به.

قال الشاعر:

يَا مُنـزِلَ الآيَاتِ وَالفُرْقَـــانِ ... بَيني وَبَيْنَـكَ حرْمَـةُ القُـرْآنِ

اشْرَحْ بِهِ صَدْرِي لمعرِفَةِ الهُدَى ... وَاعْصِمْ بِهِ قَلبِي مِنَ الشَّـيطَانِ

واحطُطْ بِهِ وِزْرِي وَأَخْلِصْ نِيَّتِي ... وَاشدُدْ بِهِ أَزْرِي وأَصْلِحْ شَانِي

واكْشِفْ بِهِ ضُرِّي وحقِّقْ تَوبَتِي ... أَرْبِـــحْ بِهِ بَيْعِي بِلَا خُسـرَانِ

طهِّر بِهِ قَلْبِي وصـفِّ سَرِيرَتِي ... أجـمِلْ بِهِ ذِكْرِي وَأَعْلِ مكَانِي

قال غيره:

وأَثنَتْ علَى اللهِ نَفسُ الشَّكُورِ ... ولـم يُنسِـــها الأمنُ أحـوَالَهَا

وكم أنفُسٍ جَحَـدت رَبَّهـــا ... ومرَّتْ تُجَـرِّرُ أذيَالَهـــــا

وساوِسُ شيطَانِهَا اسـتحْوَذَتْ ... علَيهَـــا من الوَهْمِ فاجـتالَها

فيَا وَيْلَهَـــا أنفُســًا بالجُحُودِ ... تُقَابِـلُ أنعُـمَ من عَالَهـــا

وَتَتْبَعُ أوهَامَهـــا البَاطِـــلاتِ ... وتَعبُدُ بالـذُّلِّ مُغتالَهـــــا